

# ابن حزم



## عالم وكتاب

بقلم : محمد القاضي

### حياته ..

هو أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، المعروف بالظاهري ، ولد بقرطبة في آخر يوم من شهر رمضان سنة (٣٨٤هـ) في بيت علم ووزارة ، إذ كان أبوه أحمد بن سعيد من كبار الوزراء ، ولي الوزارة للحاجب المنصور بن أبي عامر ، ثم لابنه المظفر من بعده .

اعتنى والده بتربيته ، فأخذ العلم عن شيخ الأندلس في زمانه ، اشتغل بالعلوم الدينية واللغوية والفلسفية والأدبية حتى صار فيها من أكبر الأعلام ، فكان كالبحر لا تكف غواريه ، ولا يروى شاربه ، وكاليدر .. لا تجد دلالته كما جاء في الذخيرة لابن بسام .

قال عنه ابن حبان في المتين : « كان حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في كثير من فنون المنطق والفلسفة ، له في بعض تلك الفنون كتب كثيرة .. »

وقال عنه ابن خلكان : « ... وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث والفقه ، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة ، بعد أن كان شافعي المذهب ، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر ، وكان متفتناً في علوم جمّة ، عاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك ، متواضعاً إذا فضائل جمّة وتوالت كثيرة ، وجمع من الكتب في

□□ من اعلم أهل عصره بلا منازع ، واجمعهم لعلوم الإسلام ، ظهرت عبقريته متعددة الجوانب ، فكان المرجع لأهل الفكر في زمانه وزمان من جاؤوا من بعده ، انجبت مدينته قرطبة في عصرها الإسلامي .. هذه المدينة التي صنفتها المؤرخ البريطاني الشهير « ارنولد توينبي » ضمن أهم عشرين مدينة في تاريخ الإنسنان القديم والحديث ، وهي التي جعلت بعض الإسبان يصفونها بقولهم :

إنها كشجرة ورد مقلوبة ، جذرها في الهواء وورودها مخبأة في باطن الأرض .. المدينة التي أعطت الحضارة أسماء مثل : ابن رشد ، وابن زيدون ، وابن حبان ، وابن حزم .. □□

علوم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً ، وسمع سماعاً جماً وألف في فقه الحديث ... وكان أدبياً شاعراً طبيياً ، له في الطب رسائل ، وكتب في الأدب ..

أما محمد كرد علي فيقول عنه « ابن حزم إمام في كل شأن : في الدين ، والحكمة والأخلاق والأدب والتاريخ ، وفي كل ما اتقن من علم وتمثله والف فيه ، فهو جد عظيم يملك عليك نفسك ، وأنت تنظر فيما شرح أو بسط ، وحاور وجادل ، يتعاطمك بسلطان علمه فتكبره وتكبر أدبه ، ويعجبك بشدة غبرته على بث دعوته ويسوؤك أن يسيء إليه مُعاصروه وهو الذي كان كله إحساناً .. »

نستنتج من هذه الأقوال : أن ابن حزم قمة فكرية من قمم القرن الخامس الهجري في الأندلس .

### تراثه العلمي ...

رُوي عن ولده الفضل أبي رافع أنه اجتمع عنده بخط أبيه أربعمائة مجلد ، تحتوي على نحو ثمانين ألف ورقة .

ويذكر التاريخ أن معظم كتب ابن حزم قد أحرقت علانية ، ويذكر ابن حبان عن مؤلفات ابن حزم أن أكثرها لم يُعدّ عتبة بابيه ، ويعمل إحراق كتبه بما يلي :

- (١) شذوذته الفكري ، ومخالفته ما عليه الناس .
- (٢) جراته على تغليب من سبقه .
- (٣) وقوعه في اغلاط نتيجة لذلك .
- (٤) صراحته في التعبير عن آرائه

# وجمهرة أنساب العرب

تأليفه ان يذكر ملخصاً لأنساب ملوك  
الفرس .

## مخطوطات الجمهرة ..

اعتمد المحقق في تحقيقه للكتاب على  
ثلاث مخطوطات ، وعلى نسخة ليفي  
بروفنسال المطبوعة من ضمن ثمانى  
نسخ مخطوطة موجودة في المغرب وتونس  
وينكبور وباريس والقسطنطينية ..  
والمخطوطات المعتمدة هي :

- (١) المخطوط الخاص بخزانة  
بروفنسال .
- (٢) المخطوط الموجود بالمكتبة  
التيمورية .
- (٣) المخطوط الموجود بالمكتبة  
الشنقيطية .
- (٤) النسخة المطبوعة من طرف  
بروفنسال .

## لماذا علم الأنساب ؟

لم يهتم شعب من الشعوب على وجه  
الأرض بعلم الأنساب ، كما اهتم به  
العرب ، فقد وضعوا له القواعد  
والأسس ، وكتبوا فيه كتباً ومجلدات .  
« هذا وينبغي ان نعلم ان شرف  
النسب كان من الكمالات البشرية التي  
تجب في حق جميع الرسل ، لأن ذلك  
اعون على نجاح دعوتهم ، والافتقار  
بحجتهم ، والاستجابة لشريعتهم ،  
وايضاً فإن شرف النسب يدفع صاحبه  
إلى الترفع عن الدنيا ، والتزود من  
المحاسن والمكارم ، فيظهر للناس من  
سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم



كله ، وبيان الخلاف فيه ، مع الحكم  
اصادق .

إن أهم ما يمتاز به كتاب ابن حزم  
- في نظر المحقق - هو ما حاوله المؤلف في  
دقة التزام من عقد الصلة بين القبائل  
العربية النازحة إلى الأندلس والمغرب ،  
وبيوتات الحكم والولاية والسلطان  
منهم ، وبين أجدامها وأصولها الشرقية  
التي انحدرت منها ، وأنساب متشعبة في  
بلادها الجديدة ، كلما عنت له مناسبة ،  
ولم يغفل مع ذلك بيان المدن والمسائن  
التي تجمهرت فيها تلك الجاليات  
وتكاثرت ، وحفظ لنا بذلك أسماء تلك  
البلدان ، وتعليل تسمياتها أحياناً .

فهو يُعد وثيقة هامة في هذه الناحية ،  
كما لم يغفل ذكر نسب البربر وبيوتاتهم  
بالأندلس ، ونسب أسرة بني قيس  
المولدة التي تنتمي إلى أصل إسباني .  
وميزة أخرى تتجلى بعد ذلك في ذكر  
ابن حزم لنسب بني إسرائيل ، وقد  
أفادته خبرته الصادقة ، ودراسته  
الدقيقة للتوراة ، في تلخيص هذا  
النسب بما يستدعي الإعجاب ،  
ويسترعي النظر ، ولم يفته في ختام

(٥) استهدافه للفقهاء وقته ، مما  
جعلهم يتمالؤون على بغضه ورد  
قوله ، ويجمعون على تضليله ،  
والتشنيع عليه ، وتحذير  
سلطينهم من فتنته ! ونهى  
عوامهم من الدنو منه والأخذ  
عنه !!

رغم كل هذا فقد شاء القدر أن يجعل  
منه فقيه الأندلس وعالمها ، ملا الدنيا  
دوياً ، وشغل أهل زمانه ، استنقذ له  
التاريخ من تراثه كتباً تصل حسب رأي  
الباحثين إلى سبعين كتاباً في مختلف  
الدراسات الفقهية والأصولية ،  
والمذاهب ، والكلام ، والمنطق ، والمثل  
والنحل ، والتاريخ والسير والسياسة ،  
والأدب والأنساب .

ومن هذه الكتب نُعرف اليوم بكتاب  
« جمهرة أنساب العرب » وهو من  
تراثه المطبوع ، حققه الأستاذ  
عبد السلام هارون وصدر عن دار  
المعارف بمصر - سلسلة ذخائر العرب  
رقم ط - في ٦٩٥ صفحة .

## موضوع الكتاب ...

يعتبر كتاب جمهرة أنساب العرب من  
ذخائر التراث العربي الذي يجب ان  
نحملة معنا ، لانه ينري حياتنا ، ويبيعت  
الهمم في نفوسنا ، والكتاب في جملته  
معمود للحديث عن أنساب العرب ، ومن  
لاذ واتصل بهم في هذه الفترة الاصلية  
من دنياهم ، ولم ينس في ذلك ان يشير إلى  
أهم الأحداث التاريخية والقَبَلِيَّة  
والادبية ، وأيام العرب ، والمشهور من  
أمثالها وابنائها ، مع التحقيق في ذلك

ما يحفزهم إلى تصديقه ، والاذعان له .

إن النسب الشريف ظل في كل فترة من الزمن يأخذ حظه من السمو والرفعة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قيل : يا رسول الله ! من أكرم الناس ؟ قال : « اتقاهم ! » قالوا :

ليس عن هذا نسالك ! قال : « يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل

الله ! » قالوا : ليس عن هذا نسالك ! قال : « فعن معادن العرب

تسالونني ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا . »

[ صحيح مسلم : ٢ / ٢٢٧ بولاق ] .

إن علم النسب عند ابن حزم علم جليل رفيع ، إذ به يكون التعارف ، ومن

المفروض أن يعرف الإنسان أباه وامه ، وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمة ،

ليجتنب ما يحرم عليه من النكاح فيهم ، وأن يعرف كل من يتصل به برحم توجب

ميراثاً ، أو تلزمه صلة ، أو نفقة أو معاهدة أو حكماً ما ، فمن جهل هذا فقد

أضاع فرضاً واجباً عليه ، لازماً له من دينه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في

الاهل ، مُثْرَاة في المال ، منسأة في الأجل ، مرضاة للرب . » [ المسند للإمام احمد : ٢ / ٣٧٤ ]

## انقسام اجذام العرب جملة

يرى ابن حزم أن جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال : وهم

عدنان ، وقحطان ، وقضاعة .

فعدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك ، إلا أن تسمية الأباء بينه وبين

إسماعيل قد جهلت جملة ، وتكلم في

ذلك على من أراد .

## البربر وبيوتاتهم بالأندلس

يرى كثير من المؤرخين أن البربر عرب ، وأنهم ينزلون من العروبة في صميمها ، وربما كان من ميزات هذا الكتاب اهتمام صاحبه بنسب هؤلاء القوم ، وقد استفاد عنه ابن خلدون في هذا الباب .

يقول ابن حزم ، مؤلف الكتاب عن نسب البربر : « قال قوم : إنهم من بقايا

ولد حام بن نوح - عليه السلام - وأدعت طوائف منهم إلى اليمن ، إلى

حمير ، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان . وهذا باطل ، لاشك فيه ، وما علم

النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه برّ أصلاً ، ولا كان لجُمَيْر طريق إلى بلاد

البربر ، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن ، ورايت لبعض نسابي البربر أن « زُناتة »

هو شانابن يحيى بن صولات بن وَرْتَنَاح بن ضَرِي بن سَقْفوبن جُنْدُوَاد بن ثَمَلان مَدَاغَس بن

هُوك بن هَرَسِق بن كَرَاد بن مَارِيغ بن هُوك بن هريك بن بدا بن بديان بن

كنعان بن حام بن نوح النبي عليه السلام .

أما عن بيوتاتهم بالأندلس فيذكر ما يلي : وَرْدَاجة ، مَلْزُوزة ، مَغِيلَة ،

مكناسة ، زُناتة ، مَدْبُونَة ، هُوَارَة ، مَضْمُودَة ، أوربة ، زواوة من كتامة ،

صنهاجة .

ويختم كتابه بذكر نسب بني قسي المولدة بالأندلس ، ويند من نسب بني

إسرائيل ، وقطعة من نسب الفرس . إنه كتاب مفيد للراغب في

الاستزادة ، يجمع بين دفتيه علماً من أهم العلوم التي اهتم بها أجدادنا

القدماء ، وهو من أهم المصنفات العربية ..

ذلك قوم بما لا يصح ، فلم نتعرض

لذكر ما لا يقين فيه ، وأما كل من تناسل

من ولد إسماعيل - عليه الصلاة

والسلام - فقد غبروا ودشروا ، ولا يعرف احد منهم على اديم الارض

أصلاً . حاشا ما ذكرنا من ان بني عدنان من ولده فقط .

وأما قحطان ، فمختلف فيه من ولد من هو ؟ فقوم قالوا : هو من ولد

إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - وهذا باطل بلا شك . . وقد قيل : إن

قحطان من ولد سام بن نوح ، والله أعلم ، وقيل : من ولد هود عليه

السلام ، وهذا باطل أيضاً بيقين قوله تعالى : « وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُوداً ،

(الأعراف: ٦٤) . وقال تعالى كذلك : « وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ »

(الحاقة: ٥) .

وأما قضاعة فمختلف فيه : فقوم يقولون : هم قضاعة بن معد بن

عدنان ، وقوم يقولون : هم قضاعة بن مالك بن جُمَيْر ، فانه أعلم .

ويضيف قائلاً : ووجدنا في كتب بطليموس ، وفي كتب العجم القديمة ،

ذكر القضاعيين ، ونبذة من أخبارهم وحروبهم ، فانه أعلم أهم أوائل قضاعة

هذه وأسلافهم ، أو هم غيرهم . وبلاد قضاعة متصلة بالشام ، وبلاد

اليونان والأمم التي بادت ممالكها بغلبة الروم عليها ، وبلاد بني عدنان ،

ولا تتصل ببلاد اليمن أصلاً . وبعد هذه العجالة ينتقل المؤلف إلى

ذكر جميع الفروع التي تفرعت عن عدنان وقحطان وقضاعة ، مثبتاً

الصحيح منها ، ولاغياً المشكوك فيها ، مع العلم أنه لم يقل ذكر القبائل

والبطون المشهورة باختصار ، ليسهل الوقوف على اتصال بعضها ببعض ،

وتشعب بعضها من بعض ، ليقرّب حفظ